

من كل شيء يحول بينه وبين زوجته
وقد ظل كذلك إلى هذا اليوم. ففي العام
السالف تزوجت بنتاه (كاتلين) و (كلير)
وفي بداية هذا العام تزوجت جبرالد
واليوم تزوجت الأخيرة وهي فرانسيس ،
وقد كان يحبهن جميعاً ولكنهن كن عقبة
في سبيله

واليوم لن تحدث بالمنزل الضجة التي كان يشيها
البنات وصواجهن ، وكانت الأم تصرف كل وقتها
في خدمتهن ومرضاتهن ، وزوجها لا يثق بأنهن
السبب في ابتعادها عنه بل كان يخطر له في أكثر
الأحيان أنها يحملن ستاراً لتختفي وراءه منه ،
وكانت تفتنه بجملها ويزيده شغفاً بها اشتغالها عنه ،
وقد تزوج منها ولكنه لم يأنس بزواجها فقد كانت
دائماً في حالة تشبه المزلة ، وكانت تهرب منه فلما
رزق منها بيناته الأربع زاد ابتعادها عنه واستمرت
حياتها الزوجية خمسة وعشرين عاماً وهو ينتظر، وكان
ينظر إلى المرأة ويبتسم ابتسامة مرة حيناً يذكر أنه
تزوج منذ ربع قرن . وهو مع ذلك لا يتقدم إلى
زوجته إلا كما يتقدم الشاب إلى فتاة صغيرة
وكان جيلاً قوى البنية، وكانت زوجته لا تزيد
مع مرور الأيام إلا جمالاً . وكانت شجاعاً يزيد
مع هذا الجمال

نظرت إليه الآن وقالت وهي تشير إلى زجاجات
الخمر والأطباق التي على المائدة : « ما هذه الفوضى
التي تركت لنا يا برانينو »

وكان هذا الاسم هو الذي يتنادى به في الطفولة
فتنظر إليها وقال بهدوء : « إن اسمي هو جون »
فابتسمت أمام هذا التفريع الهادي . وتناولت

العش الخالي

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

انتهى يوم العرس وسافرت آخر بنت كانت
في الأسرة مع عريسها الجديد ، وذهب آخر فريق
من المدعوين وهم يضحكون ويمرحون فرحاً بالمرس ،
وأصبح المنزل هادئاً هادئاً فوق العادة كأنه خال .
فالأم والأب وحدهما في منزلها الكبير، وكان كل منهما
يتجنب النظر إلى وجه الآخر وينظر إلى الموائد التي
عليها بقايا الوليمة فن زجاجات الشمبانيا إلى أطباق
الفاكهة فأتوا الحلوى المختلفة

وقال الزوج لزوجته : « أليس بالمنزل غرفة
لم يدخلها هؤلاء الضيوف ؟ » فقالت : « غرفة
مكتبك »

قال : « تعالى نذهب إليها » ثم نظر إلى الساعة
وقال : « جاء وقت العشاء فلنبدل ثيابنا للمائدة »
ثم أبدل وإياها ثيابهما ، وتذكر وهو خجلان
أنه منذ سنوات كان ينتظر هذا اليوم يوم تزوج
بناته ويتركهن له المنزل وأمهن معه

وقد كان يثار من بناته فقد كن يشغلن عنه
بعطالهن الكثيرة ، ولم يجرؤ على الاعتراف حتى أمام
نفسه بغيرته منهن ، وإنما كان يشمر بذلك ويحجل من
شعوره ، ولكي يكفر عن هذا الشعور كان يقوم
بواجباته نحو أبنائه خير قيام فلم يهمل قط واحداً من
هذه الواجبات ولكنه كان دائماً يشمر بتلك الفيرة

كلير تستطيع أن تأتي شهراً في الخريف ... مسكينة
فرانسين : إنني أرجو لها السعادة »

عاد إليه شعوره بالغيرة من بناته ولكنه كتمه
كعادته وسكت، فقالت : « لقد سمعت من بنت عمي
دوليس في الأسبوع الماضي - ولم أستطع إخبارك
إلا بعد انتهاء المرس - سمعت أنها تدير الآن نادياً
للقتيات في جنوب لوندرا »

نفق قلب جون وقال : « ثم ماذا ؟ »
قالت : « وقد اقترحت علي أن أنضم إليها فهي
في أشد الحاجة للمساعدة . وقالت إنني سأكون
منفردة هنا مستوحشة بسبب غيبة البنات وهي ترى
أن أقيم معها وأتني إلى هنا يوماً في الأسبوع .
وأنت تغيب عن المنزل طول النهار وفي إمكانك
قضاء بقية الأسبوع في غيبتى وحدك »

دارت الدنيا أمام عينيه وشعر بالذل . ولكن
عزته المجروحة أبت إظهار ذلة فقال : « أفعل ما تريه »
قالت : « وإذا كنت تريدني فإني مستعدة
لأداء واجبي »

فقال : « الواجب لا دخل له هنا »
قالت : « إننا سنقرر الرأي في هذا الموضوع
فيما بعد » . فرأى الزوج أن أي قرار خير من الشك
وأن عليه أن يواجه الليلة ما لا بد من مواجهته
فيما بعد . وهو يريد لها ولكن على غير هذا الشرط
فقال : « إنني أرى أن تقرري الرأي الآن »

فالتفتت ونظرت إليه في صمت . ولكنه لم يطق
أن ينظر إليها . وارتكن إلى ظهر الكرسي وكانت
أمامه رزمة من الخطابات فأخذ يقلبها بصورة آلية
ويقرأ العنايات فأجابته : « سأذهب إلا إذا كنت
في حاجة إلي »

منه طعام المشاء ؛ فقال وهو يتهدتهد الرضى :
« منذ كم سنة لم تتمش وحدنا ؟ » فقالت : « منذ
سنوات طويلة . مسكينة فرانسين ! لقد كان القرب
للتهديد بادياً عليها »
قال : « ولكن من أجل المصادفات أنها تزوجت
في هذا التاريخ »

فقالت : « لماذا ؟ »
ونظرت إليه بعينها الجيلتين الرقاوين فأجاب :
« ألا تذكرين أن هذا هو تاريخ زواجنا ؟ »
قالت : « آه ! لقد تذكرت . إنني كنت ناسية »
فعض شفته وبدأ عليه الغضب لنسيانها ذلك
اليوم . ثم ملك روعه . وشمر بخيبة الأمل في السعادة
التي كان يرجوها لأن زوجته لا تشمر بمثل شعوره
هذا . وذهبا إلى غرفة المكتب بعد المشاء وكانا يسممان
من الغرفة حركة الخدم وهم ينقلون ما على الموائد
من الأطباق ، وكانت الزوجة واقفة بجانب النافذة
تنظر في الظلام إلى أعالي الأشجار وما عليها من
أعشاش المصافير ، وإلى الممرات المظلمة في الحديقة
الجيلى التنسيق . وكان الزوج جالماً أمام مكتبه ،
وقد أسند ذقنه بأصابعه

وكانت الزوجة تتذكر خلو المنزل من الموسيقى
والفناء والضحك واللعب والحديث فقالت : « ألا يبدو
المنزل كأنه غير مأهول ؟ »

فهز رأسه وعادت هي إلى الكلام فقالت :
« أظن جيرالد ستأتي في العام المقبل »

كانت دائماً تفكر في بناتها ، ولم يستطع حملها
على التفكير فيه فحضر الآن بخيبة أمل ، لأنه حتى
في هذا الوقت لم يستطع الوصول إلى قلبها . ولكنه
سكت فلم يجيبها وعادت إلى الكلام فقالت : « وأظن

وفعل ذلك ، واخترقت سيارته الطرق ، وهو يزيد في السرعة قبل فوات الوقت . ولم يكن قد زار من قبل ذلك النادي الذي تقيم فيه زوجته ولكنه كان يعرف عنوانه ، وكانت الفرقة وحدها هي التي تقوده الآن . ثم تلاشى حكمها ، وتحكم العقل فأسند ظهره إلى الكرسي ، وأخذ يضحك من حماقته ، وهو يحترق الشوارع الخالية ... إلى أين يذهب ؟ لا إلى شيء !

وأخذ يذق الجرس ... فلو رآه أحد في الطرق الخالية لخاله سكران !

ووصل إلى النادي ، فزل من السيارة ونظر إلى النوافذ ، فلم ير إلا دخاناً يتصاعد . وأصغى فسمع أصواتاً تدل على وجود حريق في النادي ، فوضع يده في فمه ، وصفر ليدعو الجنود ، وأخذ يحاول كسر النافذة بالآلات التي يصلح بها السيارة . وفي الوقت الذي كان يصيح فيه باستدعاء المطلق استطاع الدخول من الفتحة التي أوجدها في النافذة فخرج رأسه ويداه ، وكاد الدخان يخنقه فتراجع حتى تمكن من وضع منديل في فمه ، ثم دخل مقتحماً وأخذ يصيح « يا هيلين ! يا هيلين ! » فخرجت إليه سيدة قال لها : « إن السكان يحترقون ! أين زوجتي ؟ »

قالت : « إنها نائمة في الطابق الأعلى » ثم صعدت معه وصاح باسمها فخرجت ودهشت وقالت : « لماذا جئت يا جون ؟ »

فقال : « اسرعي بقليل من الماء » فأسرعت وعند عودتها تذكر أنه لم يشرح لها سبب مجيئه فقال : « النار في البناء ! لا ينبغي أن نضيع الوقت » ثم وضع منديلاً مبلولاً آخر حول فمها وبيل المنديل الذي حول فمه وزل معها في وسط

فكان رده المختصر : « لست في حاجة إليك » فتكرت الفرقة في الحال وتركته بين أنقاض أحلامه

وبعد أسبوع كان الزوج جالساً وحده . وكانت الزوجة قد ذهبت في اليوم التالي للمرس إلى بنت عمها . وكانت نفس الزوج لا تزال متألدة من جرح عزبتها . وشمر بالتعاسة لاعتقاده أنه كان من الحماقة أن يتركها تذهب دون أن يقاوم ، فهو يشمر بأن الحياة بدونها لا تطاق

وقف أمام النافذة التي وقفت أمامها منذ أسبوع وفكر فيها وفيما تعمله الآن . وكانت صورتها الكبيرة على الحائط فقال في نفسه : « ترى كيف حالتها الآن ؟ لعلها في خطر ! »

ولمّا أتى بهذه الكلمة إلى ذهنه أن أعصابه شديدة الاضطراب . ولم يكن يطبق النظر إلى صورتها وكانت الفرقة مملوءة بصور أخرى لبناته فنظر إلى تلك الصور وهو يتشم ابتسامة مرة وقال : إنها انتصرت على طول الخط ، وإنني هزمت على طول الخط كذلك .

ونظر إلى الساعة ، وكان الليل قد انتصف وتشبثت بذهنه فكرة الخطر ، وفكر في مقدار المسافة التي يقطعها إذا أراد زيارتها ، ولكنه شمر بأن ذهابه في مثل هذه الساعة ليسأل عن صحتها لا يمكن أن يكون إلا حماقة . واختصم في ذهنه العقل مع الفرقة فكانت الأخيرة هي الغالبة .

وكان الكل قد ناموا ، ولكن فتحه مثنوى السيارة (الجراج) لا يستغرق إلا دقائق ، ثم يخرج السيارة ويوقظ السائق ، فيخبره بأنه ذاهب إلى جنوب لوندرا ، وأنه ليس في حاجة إليه .

قال : « وكيف عرفت المنزلة التي أضلك فيها »

فقلت : « عرفت من ذهابك بصد المشاء

مباشرة إلى مكتبك كأنك لا تريد أن تكون معنا »

قال : « إنني كنت أفضل لأنني لا أريد أن أرى

سواحب بناتي ولا تلك الضجة التي تحول بيني

وبينك »

فقلت : « وكيف لا تسرع عند ما أكلك عن بناتنا ؟ »

قال : « كيف عرفت ذلك ؟ »

فقلت : « إنك خير من يقوم بواجبات الأب .

ولكنني عرفت ذلك من ملاحظتي ما يبدو على

وجهك أثناء الحديث عنهن . وفي يوم الأربعاء الماضي

أردت أن أمتحن شعورك وكان خطاب بنت عمي

قد وصل إلى . ولكنني لم أعمره عناية . وقد جربتك

بالتكلم عنه وقلت في نفسي إنك إذا سمحت بذهابي

فإن ذلك سيسحق قلبي . وأنا لم أكن أريد الذهاب

إلى بنت عمي »

فقطب حاجبيه وقال : « إنك تذكرت عذرة

نفسك ولم تذكر عذرة نفسي وقولك دلي على

أنك تريد الذهاب . وقد كنت في غيابك تمسأ

للغاية » ثم وقف فجأة وقال : « لقد كنا مغفلين »

وتناول كفها بين كفيه وقال : « أظنني وجدت

نفسك بعد هذه السنوات ولن أتركك تفلتين بعد الآن »

فقلت هامسة : « إنني أحبك كما لم أحب أحداً

في الوجود »

ثم وضع ثفره فوق شعرها الناعم اللامع وقال :

« لك أن تتكلمي عن بناتنا الآن فطالما كنت

تتخذينهن سائراً بيني وبينك ، فإني لا أغار منهن »

فاثممت وقالت : « لقد أدركت نفسك أيها

الطفل الكبير » هير الطيف الشام

البحر المتصاعد ، فلما رآها يكاد ينمى عليها حملها بين

يديه ، وكانت الحرارة شديدة حتى كاد ينمى عليه

أيضاً ، وخرج بها من النافذة

كانت الساعة الثالثة صباحاً عند ما عاد الزوجان

إلى منزلها ولم يتبادلا إلا كلمات قليلة وكانت الزوجة

شديدة الشحوب وقالت : « لقد جئت إلى هنا يوم

المظلة السالفة . ولكنك لم تجيء فيه »

قال : « نعم هذا هو الواجب علي في هذه

الظروف »

قلت : « أي ظروف ؟ » فلم يجب . وقالت :

« ما الذي جعلك تأتي في هذه الساعة وكيف

علت ؟ »

قال : « لا أعلم ولكن كان مستولياً على شعور

غريب بأنك في خطر فأنييت وأنا أعرف أن إطاعة

هذا الشمر حاقة ، ولكنني لم أستطع منع نفسي .

وما كنت أصدق الفصص التي من هذا القبيل

وكنت أسمع صوتاً يقول لي إن زوجتك المحبوبة

في خطر »

فسكنت مدة طويلة ثم قالت : « لم أكن أعلم

أنك تجبني إلى هذا الحد »

قال : « إنني رجل محتجز يا عزيزتي وقد كنت

أعتقد أنك تدركين حبي لك . ولكنني لم أكن

أستطيع الوصول إليك لأنك تهرين مني »

فقلت : « نعم لأنني خائفة »

قال : « خائفة ! من أي شيء ؟ »

فقلت : « خائفة من إظهار محبة أكبر من

المنزلة التي وضعتني فيها . إن لي عذرة نفس ولذلك

كنت أجمل بناتي سائراً حتى لا تراني »